ا



أختـــاه
يا صاحبة الخلق الحسن

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٥٨٩١

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام
ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر
مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الكمبيوتر: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢
الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). أما بعد:

فما أجمل أن تتحلى الأخت المسلمة بالخُلق الحسن الذى يجعلها قريبة من قلوب الناس من حولها... ويكون علامة على كمال إيمانها ويجعلها تدرك بحُسن الخلق درجة الصائمة القائمة، ويثقل ميزانها يوم القيامة ويُحرم جسدها على النار.

ويجعلها تفوز بمحبة الرحيم الغفار (جل وعلا).

ويجعل مستقرها فى أعالى الجنان كما أخبر بذلك حبيب الرحمن محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام.

نعم يا أختاه: ما أجمل أن نتحلى جميعًا بالأخلاق الحسنة لنستطيع أن ندعو الكون كله من حولنا إلى عبادة الله (عز وجل) وإلى اتباع سُنة رسول الله ﷺ.

ولن يكون ذلك إلا إذا رأى الناس فينا أخلاق المسلمين الحقيقية يوم أن كانوا يتعلمون مكارم الأخلاق من سيد المرسلين ﷺ الذى رباه الله (عز وجل) وصنعه على عينه ليربى به الكون كله.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فهيا يا صاحبة الخُلق الحسن لنعيش بقلوبنا فى رحاب هذه الرسالة لنتعلم من خلالها مكارم الأخلاق ونجتنب سيئها عسى الله أن يرزقنا صُحبة النبى ﷺ فى جنته التى فيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

وخالق الناس بخلق حسن

قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخُلق حسنٍ»(١).

قال الإمام ابن رجب - رحمه الله -:

* وقوله ﷺ: «وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ» هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هى القيام بحق الله دون حقوق عباده فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس(٢).

* فيا أيتها الأخت الفاضلة: أين بسمتك الحانية فى وجه أخواتك.. تلكم البسمة التى تجعل القلوب تتآلف وتلتقى على الحب فى الله لتكن جميعًا يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن فى ذلك اليوم الطويل الذى يبلغ طوله خمسين ألف سنة. فاحرصى يا أختاه على حُسن الخُلق عسى الله أن يستعملك وأن يفتح بك قلوب المسلمات من حولك.. فلأن يهدى الله بك امرأة واحدة خيرٌ لك من الدنيا وما فيها.

---

(١) رواه أحمد والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٢٥).

علامات حسن الخلق

* ولقد جمع بعضهم علامات حسن الخلق، فقال: «هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى. كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا، رضيًا حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا، ولا مغتابًا، ولا عجولاً، ولا حقودًا ولا بخيلاً، ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب فى الله، ويبغض فى الله، ويرضى فى الله، ويغضب فى الله، فهذا هو حُسن الخلق»[1].

وقال حاتم الأصم: المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمؤمن يُحسن ويبكى، والمنافق يسىء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح،

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٥).

والمنافق يأمر وينهى للرئاسة فيفسد[١].

والكلمة الطيبة صدقة

أختاه: إن الكلمة الطيبة التى تخرج من فمك لتُعطر أسماع أخواتك صدقة.. وهى لا تكلفك شيئًا.

قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٢].

وقال ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة»[٣].

وقال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ»[٤].

* فلا تبخلى بكلمة رقيقة عسى أن تكون سببًا فى هداية أختٍ شاردة عن قافلة الإيمان فتكون لك ذُخرًا فى الدنيا والآخرة وحاديًا لك للخلود فى الجنان حيث النعيم والرضوان.

* * *

(١) الإحياء (٣/ ١٠٤).
(٢) أخرجه البخارى (٦٠٢٣) الأدب - ومسلم (١٠١٦) الزكاة.
(٣) أخرجه البخارى (٢٩٨٩) الجهاد - ومسلم (١٠٠٩) الزكاة.
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) البر والصلة.

إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤) وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤، ٣٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[١].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق فى الأمر كله»[٢].

وعنها أن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) الإيمان.

(٢) أخرجه البخارى (٦٩٢٧) - ومسلم (٢١٦٥).

ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على ما سواه»(١).

* وعنها أن النبى ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»(٢).

أقسام حسن الخلق

وحُسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله (عز وجل)

وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذرًا، وأن كل ما يأتى من الله يوجب شكرًا، فلا تزال شاكرًا له معتذرًا إليه سائرًا إليه بين مطالعة منَّته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والثانى: حسن الخلق مع الناس: وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً. وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العلم والجود والصبر وطيب العود وصحة الإسلام.

(١) أما العلم: فلأنه يعرف معالى الأخلاق وسفاسفها فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به، ويترك هذا ويتخلى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: فضل الرفق.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: فضل الرفق.

عنه.

(٢) وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك، إذا أراده منها.

(٣) وأما الصبر: فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائه لم يتهيأ له.

(٤) وأما طيب العود: فأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة الانقياد، وسريعة الاستجابة لداعى الخيرات.

(٥) وأما صحة الإسلام: فهى جماع ذلك، والمصحح لكل خلق حسن، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء، وحسن موعود الله وثوابه، يسهل عليه تحمل ذلك ويلذ له الاتصاف به. والله الموفق والمعين[١].

إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق

قال ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٢].

قال صاحب الظلال - رحمه الله:

والرسول الكريم يقول: «إنما بُعثت لأتمم صالح

(١) تهذيب السنن للإمام ابن القيم، شرح سنن أبى داود (١٣/ ١٣٠).
(٢) رواه ابن سعد والحاكم والبيهقى - صحيح الجامع (٢٣٤٩).

الأخلاق». . فيلخص رسالته فى هذا الهدف النبيل وتتوارد أحاديثه تترى فى الحض على كل خلق كريم. وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حيًا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله تعالى أن يقول عنها فى كتابه الخالد: «وإنك لعلى خلق عظيم». . فيمجد بهذا الثناء نبيه ﷺ كما يمجد به العنصر الأخلاقى فى منهجه الذى جاء به هذا النبى الكريم، ويشد به الأرض إلى السماء، ويعلق به قلوب الراغبين إليه - سبحانه - وهو يدلهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم.

وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها فى محمد - ﷺ - وتمثلت فى ثناء الله العظيم، وقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(١).

وإنك لعلى خلق عظيم

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ (القلم: ٤).

قال ابن عباس ومجاهد: «لعلى دين عظيم، لا دين

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٦٥٧ - ٣٦٥٨).

أحب إلى ولا أرضى عندى منه، وهو دين الإسلام». فجعل الدين كله خلقًا، فمن زاد عليك فى الخلق، فقد زاد عليك فى الدين(١).

وقال صاحب «الظلال» - رحمه الله - فى قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾:

ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواحٍ شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت فى كيانه، وتتردد فى الملأ الأعلى إلى ما شاء الله.

وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد ﷺ لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التى يدرك هو منها مالا يدركه أحد من العالمين.

إن إطاقة محمد - ﷺ - لتلقى هذه الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل - ولو

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٦).

أنها ثناء - ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب.. تلقيه لها فى طمأنينة وفى تماسك وفى توازن.. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ومرة أخرى أجد نفسى مشدودًا للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقى رسول الله ﷺ لهذه الكلمة من ربه، وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان.. لقد كان - وهو بشر - يثنى على أحد أصحابه، فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم. وهو بشر وصاحبه يعلم أنه بشر. وأصحابه يدركون أنه بشر. إنه نبى نعم. ولكن فى الدائرة المعلومة الحدود. دائرة البشرية ذات الحدود.. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله. وهو يعلم من هو الله. هو بخاصة يعلم من هو الله! هو يعلم منه مالا يعلمه سواه ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير.. إنه أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير!![1].

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا. وكان

---

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٦٥٦: ٣٦٥٧) بتصرف.

يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»(١).

* وفى الصحيحين: أن هشام بن حكيم «سأل عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلقه القرآن. فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا».

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى(٢).

* وعن أنس (رضى الله عنه) قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا»(٣).

* وعنه قال: ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى قط: أف، ولا قال لشىء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشىء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟(٤).

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥٥٩) المناقب - ومسلم (٢٣٢١) الفضائل.
(٢) أخرجه البخارى (٣٥٦٠) المناقب - ومسلم (٢٣٢٧) الفضائل.
(٣) أخرجه البخارى (٦٢٠٣) الأدب - ومسلم (٢١٥٠) الآداب.
(٤) أخرجه البخارى (٣٥٦١) المناقب - ومسلم (٢٣٣٠) الفضائل.

الرفق فى حياة النبى ﷺ

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بال أعرابى فى المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبى ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»(١).

* عن عائشة - رضى الله عنها - أن يهود أتوا النبى ﷺ فقالوا: السامُ(٢) عليكم. فقالت عائشةُ: عليكم، ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش».

قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعى ما قُلتُ؟ رددت عليهم، فيستجاب لى فيهم، ولا يُستجابُ لهم فى»(٣).

* وعنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من

(١) أخرجه البخارى (٢٢٠) الوضوء - السَّجل: الدلو الممتلئة ماء.
(٢) السام: الموت.
(٣) أخرجه البخارى (٦٠٣٠) - ومسلم (٢١٦٥).

محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى[١].

* وعن أنس رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء[٢].

* أرأيت يا أختاه كيف كان النبى ﷺ يتحمل الأذى فى سبيل نجاح دعوته.. فاحرصى كل الحرص على نجاح دعوتك المباركة مهما أصابك من الأذى.. ولك فى رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة.

النبى ﷺ يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا

كان النبى ﷺ يعفو عند المقدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسىء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب فى إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٨) الفضائل.

(٢) أخرجه البخارى (٣١٤٩) فرض الخمس - ومسلم (١٠٥٧) الزكاة.

القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار.

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دينا له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبى ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضينى حقى! إنكم يا بنى عبد المطلب قوم مُطلٌ، وشدد له فى القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران فى رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: «أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضى، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر» فكان هذا سببًا لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شىء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل

عليه إلا حلمًا».

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر(١).

ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليما منه

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني(٢) ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/٤٢٨)، وشرح النووي على مسلم (١٥/٤٤)، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

(٢) ما كهرني: أي ما قهرني ولا نهرني.

الله ﷺ.

اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه

عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: إن فتىً شابًا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال له: «ادنه» فدنا منه قريبا، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداءك. قال «ولا الناس يحبونه لبناتهم» أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء[1].

---

(١) رواه أحمد عن أبي أمامة، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبرانى وقال: رجاله رجال الصحيح (١/ ١٢٩) - وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى (٣٧٠).

وهذا الموقف الحكيم العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله - عز وجل - أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولا سيما من يرغب فى استئلافهم ليدخلوا فى الإسلام، أو ليزيد إيمانهم، ويثبتوا على إسلامهم[١].

سلفنا الصالح... وحسن الخلق

ولقد تعلم سلفنا الصالح من الصحابة (رضى الله عنهم) ومن تبعهم حُسن الخلق من النبى ﷺ فكانوا صورة مضيئة فى الرفق وحُسن الخلق والرحمة واللين والتواضع.

* روى أن عليًا كرم الله وجهه دعا غلامًا فلم يجبه فدعاه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعًا فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال، بلى قال: فما حملك على ترك إجابتى؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: امض فأنت حر لوجه الله تعالى.

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله: يا مرائى، فقال: يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة.

وكان ليحيى ابن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له: لم تمسكه؟ فقال. لأتعلم الحلم عليه[٢].

---

(١) الحكمة فى الدعوة إلى الله/ سعيد القحطانى (ص: ١٨٤).
(٢) الإحياء/ للإمام الغزالى (٣/ ١٠٤).

* وكان ابن عباس (رضى الله عنهما) لا يقابل الإساءة إلا بالإحسان.

فعن ابن بريدة الأسلمى قال: شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمنى وفى ثلاث خصال، إنى لآتى على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأفرح به ولعلى لا أقاضى إليه أبدًا، وإنى لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لى به من سائمة[1].

يا لها من أخلاق سامية

وكان جرير رضى الله عنه يتمتع بقدر عال من الأخلاق السامية حتى إنه لا يخدش حياء إنسان مهما كان قدر هذا الإنسان ومنزلته.

فعن الشعبى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد ريحًا، وفى رواية: فتنفس رجل - يعنى أحدث - فقال: عزمتُ على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ. فقال جرير: اعزم علينا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم وإسناده حسن.

جميعًا، فقال: عزمت على وعليكم لما قمنا فتوضأنا ثم صلينا.

فقال عمر رضى الله عنه: يرحمك الله، نعم السيد كنت فى الجاهلية، ونعم السيد كنت فى الإسلام[١].

اللهم إنى تصدقت بعرضى على من ناله من خلقك

روى ابن منده بإسناده: «كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبى ﷺ، فلما حض على الصدقة، جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده فقال علبة بن زيد: اللهم إنه ليس عندى ما أتصدق به، اللهم إنى أتصدق بعرضى على من ناله من خلقك. فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام عُلبة: فقال: «قد قُبلت صدقتك».

وفى زاد المعاد: فقال النبى ﷺ: «أبشر، فوالذى نفس محمد بيده، لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة».

المؤمن كالشجرة المثمرة

لا خير ولا أفضل ولا أجمل ولا أحسن من كلمة طيبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

(١) السير للإمام الذهبى (٢/ ٥٣٥).

ثَابتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (إبراهيم: ٢٤: ٢٥).

إن البر شــيء هـينُ   وجهٌ طليقٌ وكلام لينُ

المؤمن الحق كالشجرة المثمرة كلما رُميت بالحجارة، أسقطت ثمرًا طيبًا، فيا لها من قيم، ويا لها من مُثُل.

ها هو يهودى معه كلب - واليهود لطالما استفزوا المسلمين - يمر على إبراهيم بن أدهم - عليه رحمة الله - فيقول له: لحيتك يا إبراهيم أطهر من ذنب هذا الكلب أم ذنب هذا الكلب أطهر من لحيتك؟

فما كان منه إلا أن قال بهدوء المؤمن الواثق بموعود الله - عز وجل -: إن كانت فى الجنة فهى أطهر من ذَنَب كلبك، وإن كانت فى النار لذَنَب كلبك أطهر منها، فما ملك هذا اليهودى إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والله ما هذه إلا أخلاق الأنبياء ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٤، ٣٥)

وها هو الإمام أحمد - عليه رحمة الله - فى مجلسه وبين تلاميذه ويأتى سفيه من السفهاء فيسبه ويشتمه ويفزعه

بالسب والشتم، فيقول طلابه وتلاميذه: يا أبا عبد الله رد على هذا السفيه، قال: لا والله، فأين القرآن إذن؟! ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

إذا سبني نـدلٌ تزايـدت رفعـة
وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي على عزيزة
لمكنتها من كل نـدل تحاربـه(١)

ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم

قال الأحنف بن قيس: «ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقرى، لأنه قتل ابن أخٍ له بعض بنيه، فأتى بالقاتل مكتوفًا يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى! ثم أقبل على الفتى فقال: بئس ما فعلت!! نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمتّ عدوك، وأسأت بقومك، وأثمت بربك، وقطعت رحمك، ورميت نفسك بسهمك. خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، فإنها غريبة! ثم انصرف القاتل وما حل قيسٌ حبوته ولا تغير وجهه»(٢).

---

(١) بتصرف من (هكذا علمتنى الحياة) الشيخ على القرنى.
(٢) الإحياء/ للإمام الغزالى (٣/ ١٠٤).

«وقيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك، أنت حرة لوجه الله تعالى»(١).

اللهم إن كان غنيًا فاهده... وإن كان فقيرًا فأغنه

«اشترى الربيع رحمه الله فرسًا بثلاثين ألفًا فغزا عليها، ثم أرسل غلامه «يسار» يحتش وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام فقال: يا ربيع أين فرسُك؟ قال: سُرقت يا يسار. قال: وأنت تنظر إليها؟! قال: نعم يا يسار، إني كنت أناجي ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه... ثلاث مرات»(٢).

لم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر

«خرج إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - إلى بعض

(١) الإحياء/ للإمام الغزالي (٣/ ٧٧).
(٢) الزهد لابن حنبل (ص٢٣١ - ٢٣٢) ومختصر قيام الليل للمقريزي (ص٢٧).

البرارى، فاستقبله رجل جندى، فقال: أنت عبد؟ قال: نعم. فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندى: إنما أردت العمران!! فقال: هو المقبرة. فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه، ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه، فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندى ما قال له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم!! فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألنى: عبدُ من أنت، بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم، لأنى عبد الله، فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة. فقيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أننى أؤجر على ما نالنى منه، فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر»(١).

أين نحن من هؤلاء

قيل: إن أويسًا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه إن كان ولابد فارمونى بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتمنعونى عن الصلاة.

وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال: إن كان قد بقى فى نفسك

---

(١) الإحياء (٣/ ١٠٢: ١٠٣).

شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك[١].

ثمرات حسن الخلق

أختاه: إن ثمرات وفوائد حُسن الخلق كثيرة وجليلة ومنها:

حسن الخلق يجعل الإنسان محبوبًا

إن حُسن الخلق يجعل الإنسان محبوبًا ومألوفًا لكل الناس من حوله.

* (قال الماوردي - رحمه الله - «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب[٢].

نعمة القرب من النبي ﷺ

وحُسن الخلق من أفضل القُربات التي تقرب العبد من رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

فإذا كان يوم القيامة فإن الله يمن على صاحب الخُلق الحسن بأن يجعله أقرب الناس إلى النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة،

---

(١) الإحياء/ للإمام الغزالي (٣/ ١٠٤).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٣٦).

أحاسنكم أخلاقًا. وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»(١).

حسن الخلق دليل على كرم الطبع

وحسن الخلق دليل على سماحة النفس وكرم الطبع... وذلك يجعل القلوب تنجذب إلى صاحب الخلق الحسن وتأنس بصحبته.

* (قال بعض البلغاء: «الحسن الخلق من نفسه فى راحة، والناس منه فى سلامة، والسيء الخلق الناس منه فى بلاء، وهو من نفسه فى عناء)»(٢).

حسن الخلق من أسباب الفوز بعفو الله

* وحُسن الخُلق من أسباب الفوز بعفو الله وغفرانه، عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت فى الدنيا؟ قال: ﴿ولا يكتمون الله

---

(١) رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٠١).
(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٣٧).

حديثًا﴾ قال: يارب آتيتنى مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقى الجواز، فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدى»[١].

حسن الخلق يحول العدو إلى صديق

أختاه: إن العبد - يستطيع - بإذن الله - أن يجعل عدوه صديقًا حميمًا بحُسن الخلق.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٣: ٣٥).

صاحب الخلق الحسن يدرك درجة الصائم القائم

* وعن عائشة رضى الله عنها، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٢].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤٨٠) - ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

وقال ﷺ: «إن المسلم المسدد[١] ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله، بحسن خلقه وكرم ضريبته»[٢] [٣].

حُسن الخلق علامة على كمال الإيمان

قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[٤].

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير في من لا يألف ولا يُؤلف»[٥].

حُسن الخلق يُثقل ميزان العبد يوم القيامة

قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يُبغض الفاحش البذيّ»[٦].

(١) المسدد: أي المستقيم على أمر الله.
(٢) كرَم ضريبته: أي حُسن طبيعته وسجيته.
(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير عن ابن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٤٩).
(٤) رواه الترمذي وأبو داود - صحيح الجامع (١٢٣٢).
(٥) رواه الطبراني في الأوسط - صحيح الجامع (١٢٣١).
(٦) رواه الترمذي وأبو داود - صحيح الجامع (٥٧٢٦).

* وقال ﷺ: «أثقل شىء فى ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البذى»(١).

حسن الخلق يُحرم جسد صاحبه على النار

* عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار: على كل قريب هين سهل»(٢).

حُسن الخلق يجعل صاحبه يفوز بمحبة الله (جل وعلا)

وقال ﷺ: «إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خلقٍ حسنٍ»(٣).

وقال ﷺ: «إن لله تعالى آنيةً من أهل الأرضِ، وآنيةُ ربكم قلوبُ عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينهُا وأرقُّها»(٤).

حُسن الخلق من أسباب دخول الجنة

أختاه: ألا تعلمين أن حُسن الخلق من أعظم أسباب

---

(١) رواه البيهقى فى السنن - صحيح الجامع (١٣٥).
(٢) رواه الترمذى والطبرانى - صحيح الجامع (٢٦٠٩).
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن أسامة بن شريك - صحيح الجامع (١٩٧٧).
(٤) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى عنبسة - صحيح الجامع (٢١٦٣).

دخول الجنة.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»(١).

* (قال ابن القيم - رحمه الله -: «جمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلحُ ما بينهُ وبين خلقه. فتقوى الله تُوجبُ له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»)(٢).

بيت فى الجنة لصاحبة الخلق الحسن

يا صاحبة الخُلق الحسن... ها هو النبى ﷺ يضمن لك بيتًا فى الجنة إذا كانت أخلاقك عذبة رقيقة.

قال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ فى ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب،

(١) رواه الترمذى وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٦٣٠).
(٢) الفوائد (ص: ٧٥).

وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خُلقه»(١).

مغبة سوء الخلق

أختاه: وإن كنا قد تكلمنا عن حُسن الخلق وثمراته فلابد أن نتكلم عن سوء الخلق ومغبته.

فإن مغبة سوء الخلق لشديدة... فإن سوء الخُلق يجعل الإنسان مكروهًا من كل من حوله فتراه لا يجد صديقًا يحبه ولا أنيسًا يأنس إليه حتى إن أولاده وزوجته لا يحبون مجالسته... والزوجة (سيئة الخلق) لا يحبها زوجها ولا أولادها... وحسبُها أن تعيش في بيت لا تجد فيه من يحبها.

* (عن أبي حازم - رحمه الله - قال: السيىء الخلق أشقى الناس به نفسه، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فرقًا منه، وحتى إن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار وحتى إن القط ليفر منه»(٢).

---

(١) رواه أبو داود - صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) مساوئ الأخلاق ومذمومها (ص: ٢٦).

* وكذلك فإن سوء الخُلق يجعل صاحبه يعيش دائمًا فى غمٍ ونكدٍ وكآبة لا يعلمها إلا الله (جل وعلا).

قال الحسن: من ساء خُلقه عذب نفسه.

* وسوء الخُلق يجعل العبد أبعد ما يكون عن الله (عز وجل) وأبعد ما يكون (يوم القيامة) عن رسول الله ﷺ.

* وإذا فشا سوء الخُلق فى أى مجتمع أوبقه ومزقه.

الأخلاق السيئة هى المهلكات

* (قال الإمام الغزالى - رحمه الله - الأخلاق السيئة هى السموم القاتله، والمهلكات الدامغة، والمخازى الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التى تطلع على الأفئدة»)[1].

* (عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها. قال: «هى فى النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها

(١) الإحياء (٣/ ٥٣).

وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها. قال: «هى فى الجنة»[1].

أركان سوء الخلق

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: ومنشأ جميع الأخلاق السافلة، وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

فالجهل: يريه الحسن فى صورة القبيح، والقبيح فى صورة الحسن. والكمال نقصًا، والنقص كمالاً.

والظلم: يحمله على وضع الشىء فى غير موضعه. فيغضب فى موضع الرضا، ويرضى فى موضع الغضب. ويجهل فى موضع الأناة. ويبخل فى موضع البذل. ويبذل فى موضع البخل. ويحجم فى موضع الإقدام. ويقدم فى موضع الإحجام، ويلين فى موضع الشدة. ويشتد فى موضع اللين. ويتواضع فى موضع العزة. ويتكبر فى موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص، والشح، والبخل، وعدم العفة، والنهمة، والجشع، والذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر، والحقد، والحسد، والعدوان، والسفه.

---

(١) رواه أحمد والبزار والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومةٌ.

وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس فى الضعف، وإفراطها فى القوة.

فيتولد من إفراطها فى الضعف: المهانة والبخل، والخسة واللؤم، والذل والحرص، والشح وسفساف الأمور والأخلاق.

ويتولد من إفراطها فى القوة: الظلم والغضب والحدة، والفحش، والطيش.

ويتولد من تزوج أحد الخلقين بالآخر: أولاد غية(١) كثيرون. فإن النفس قد تجمع قوة وضعفًا. فيكون صاحبها أجبر الناس إذا قدر، وأذلهم إذا قهر، ظالم عنوف جبارٌ. فإذا قهر صار أذل من امرأة. جبانٌ عن القوى، جرىء على الضعيف.

فالأخلاق الذميمة: يولد بعضها بعضا، كما أن الأخلاق الحميدة: يولد بعضها بعضا(٢).

النبى ﷺ يستعيذ من الأخلاق السيئة

* (عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال:

---

(١) غية: جمع غاوى وهو الضال.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٢١ - ٣٢٢).

كان النبى ﷺ إذا افتتح الصلاة كبر، ثم قال: «إن صلاتى ونسكى[١] ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت. وقنى سيء الأعمال وسيء الأخلاق لا يقى سيئها إلا أنت»[٢].

أختاه: إن كان النبى ﷺ الذى زكاه الله (عز وجل) يستعيذ بالله من الأخلاق السيئة فكيف لا تستعيذين بالله من سوء الخلق عسى الله أن يجعلك من أحسن الناس خُلقًا لتكونى فى أعلى درجات الجنة.

وقفه أخيرة

يا صاحبة الخُلق الحسن:

اجعلى مكارم الأخلاق مركبًا تركبينه لتصلى به إلى أعلى درجات الجنة، واجتهدى قدر طاقتك على دعوة أخواتك إلى التحلى بمكارم الأخلاق عسى أن تفوزى بالأجر

---

(١) إن صلاتى ونسكى: قال أهل اللغة: النسك العبادة. وأصله من النسيكة، وهى الفضة المذابة المصفاة من كل خلط. والنسيكة، أيضًا، ما يتقرب به إلى الله تعالى.

(٢) النسائى (٢/ ١٢٩)، والدارقطنى (١١١)، وقال محقق جامع الأصول (٤/ ١٨٧): إسناده صحيح.

والثواب الذى أخبر عنه الحبيب ﷺ حيث قال: «الدال على الخير كفاعله»(١).

وقال ﷺ: «من سن فى الإسلام سُنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء...»(٢).

فيا صاحبة الخُلق الحسن: كونى مشعلا يضىء للناس طريقهم إلى الله (عز وجل) وتضرعي إلى الله أن يُحسن أخلاقك كما كان النبى ﷺ يسأل ربه (عز وجل) ويقول: «اللهم كما حسنت خَلقى فحسن خُلقى»(٣).

مع أنه هو الذى قال عنه تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (القلم: ٤).

* أسأل الله تعالى أن يُحسن أخلاقنا وأن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

---

(١) رواه البزار عن ابن مسعود - صحيح الجامع (٣٣٩٩).
(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذى عن جرير.
(٣) رواه أحمد عن ابن مسعود - صحيح الجامع (١٣٠٧).

• محتويات الكتاب •

الموضوع | الصفحة